

المصدر: الشرق الأوسط

التاريخ: ١٥ يناير ٢٠١٢

العلاقات السعودية الأمريكية وتداعيات 11 سبتمبر

المشاركين في الحملة الإعلامية فرصة كبيرة لا تعوض أما للضغط على السعودية أو لتصفية الحسابات معها.

ومن الواضح ثانياً أن غالبية مضامين الحملة الإعلامية الأمريكية ضد السعودية تتعلق بشكل مباشر بمسألة اختلاف القيم الثقافية وقيم الثقافة السياسية بين المجتمعين السعودي والأمريكي. ولتوضيح هذا الأمر سوف استعرض بعض أهم مضامين النقاط التي وردت في الحملة الإعلامية الأمريكية ضد السعودية.

1 - الادعاء بأن القاعدة وطلابان هما من نتائج النموذج الإسلامي السعودي المتمثل في حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والذي يشيرون إليه أحياناً بالوهابية، وأحياناً أخرى بالسلفية السعودية. فهذا النموذج كما يزعمون، يساعد على بناء وتكريس التطرف وعدم التسامح الديني والاجتماعي ويوجد بالتالي المناخ المناسب لنشوء العنف. ويستشهد الكتاب الذين يثيرون هذه النقطة بحقيقة أن رئيس القاعدة أسامة بن لادن هو سعودي سلفي وهابي، وأن خمسة عشر من الأشخاص الذين ساهموا في تفجيرات 11 سبتمبر هم من السعوديين، وذلك وفق أدلة التحقيقات الأمريكية.

2 - انتقاد بعض الكتاب الأمريكيين لتطبيق السعودية للشريعة الإسلامية، وخاصة في مسألة العقوبات.

3 - إثارة بعض الكتاب لمسألة المرأة في السعودية والادعاء بأن حقوقها مهضومة وأنها غير قادرة على قيادة السيارة.

4 - الادعاء بأن النموذج الإسلامي في السعودية يعارض الحداثة ورفض جميع مظاهر التقدم الموجودة في الثقافة الغربية.

5 - الزعم بأن مناهج التعليم في السعودية، تعلم كره اليهود والغرب وتحرض على محاربتهم بشكل مباشر وغير مباشر.

6 - القول بأن النموذج السعودي للإسلام يعارض الحريات الدينية لغير المسلمين المقيمين في السعودية.

7 - تركيز بعض الكتاب المشاركين في الحملة على نشاطات الدعوة الإسلامية التي تقوم بها بعض المؤسسات والمراكز الإسلامية التابعة للسعودية أو المدعومة منها في الخارج. والزعم بأن بعض الأموال السعودية التي تصل إلى المسلمين في جميع أنحاء العالم لأهداف دينية وخيرية تجد طريقها لبعض الحركات الإسلامية المتطرفة.

تقوم العلاقات السعودية - الأمريكية منذ بدايتها على أساس المصالح المشتركة أولاً، والصداقة ثانياً. فلقد أدت المصالح الاستراتيجية المشتركة المتعلقة بالبتروول ونقل التقنية المتقدمة للسعودية، إلى نشوء صداقة قديمة بين الطرفين تم توطيدها مع مرور الوقت، ولكن العلاقات السعودية - الأمريكية واجهت ومنذ بدايتها أيضاً تحديين رئيسيين:

1 - اختلاف الطرفين حول أسس معالجة وتسوية مشكلة الشرق الأوسط ورفض السعودية لسياسة دعم واشنطن المطلق لإسرائيل.

2 - اختلاف القيم الثقافية وقيم الثقافة السياسية بشكل كبير جداً بين المجتمعين السعودي والأمريكي.

ولقد نتج عن هذا التباين بين عنصري التفاهم والتقارب (المصلحة + الصداقة)، وعنصري التباين والتنافر (القضية الفلسطينية + اختلاف القيم المجتمعية) نوع خاص من التوازن المرن الذي مكن العلاقات السعودية - الأمريكية من الاستقرار أو التقدم وذلك بالرغم من فترات الفتور والتوتر التي اعترت هذه العلاقات من وقت لآخر.

ولقد أدت أحداث 11 سبتمبر 2001 إلى زيادة الصعوبات والتحديات القديمة التي تواجه علاقات البلدين. فإذا تأملنا في تأثير تداعيات أحداث تفجيرات 11 سبتمبر على العلاقات، يمكننا أن نلاحظ أن العلاقة الرسمية بين الرياض وواشنطن لم تتأثر كثيراً بأحداث 11 سبتمبر بسبب اعتبارات المصلحة الاستراتيجية والاقتصادية المشتركة، ولكن المؤسسات الإعلامية الأمريكية وبعض المحللين السياسيين الأمريكيين العاملين في مراكز البحوث والدراسات قاموا بشن حملة إعلامية شديدة العداء للسعودية، ما زالت مستمرة حتى الوقت الحاضر. وإذا نظرنا في هذه الحملة الإعلامية يمكننا أن نلاحظ بسهولة أنها ترتبط بشكل رئيسي بالتحديين المذكورين أعلاه (القضية الفلسطينية واختلاف القيم) اللذين واجها العلاقات السعودية - الأمريكية منذ نصف قرن. فمن الواضح أولاً أن بعض المساهمين في هذه الحملة هم من الكتاب المعروفين بانحيازهم المستمر لجانب إسرائيل وبكثرة انتقاداتهم للعرب المسلمين وتسخير أعلامهم لمهاجمة الدول العربية التي تتصدر المواجهة العربية مع إسرائيل. وغني عن القول أن السعودية قد وقعت بشدة في التسعينات الميلادية في رفض ومواجهة ومعارضة عملية التطبيع مع إسرائيل، وذلك بسبب تعثر عملية السلام ورفض الحكومة الإسرائيلية للوفاء ببعض التزاماتها الأساسية التي وردت في اتفاقيتي أوسلو وواشنطن. كما تصدرت السعودية الدول العربية في دعم انتفاضة القدس وفي الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني في جميع المحافل الإقليمية والدولية. فلقد وجد بعض هؤلاء الكتاب



عثمان الرواف

سواء في مصر أو السعودية أو الجزائر أو غيرها من المجتمعات الإسلامية، لا يرتبط بمناهج التعليم، ولكن بأسباب أخرى ينبغي فهمها وإدراكها ووضع أسس صحيحة لمعالجتها. وتوخياً للإنصاف والموضوعية، فإنني أرى أهمية التوضيح بأن بعض المشاركين في الحملة الإعلامية الأمريكية ضد السعودية هم ليسوا من الفئتين المذكورتين أعلاه، أي فئة الكتاب الصهيونيين المعروفين بدعمهم الطويل لإسرائيل وفئة العلمانيين والليبراليين المعارضين للاتجاه الديني المحافظ في السعودية، فهناك مجموعة من المشاركين في الحملة الذين صلبوا نار غضبهم على السعودية لأن بن لادن وخمسة عشر شخصاً من منفذي تفجيرات 11 سبتمبر هم من السعوديين.

ماذا يمكن القول أخيراً عن مستقبل العلاقات السعودية - الأمريكية في أعقاب تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر لعام 2001؟ يصعب في الحقيقة تقديم نظرة تفاؤلية أو تشاؤمية في هذا الأمر في الوقت الحاضر، ويمكن للعلاقات السعودية - الأمريكية - كما يعتقد البعض - أن تستمر في وضعها السابق الطويل القائم على أساس المصلحة المتبادلة وذلك بالرغم من تداعيات 11 سبتمبر ومن الفجوة التي حدثت بين الطرفين نتيجة استمرار أمريكا في دعمها المطلق لإسرائيل ونتيجة الحرب التي يشنها الإعلام الأمريكي على الثقافة والدين في المملكة العربية السعودية. وحتى لو افترضنا أن اتساع الهوة الحالية سوف يؤثر بشكل سلبي على علاقة المصلحة بين الرياض وواشنطن فليس من المتوقع للسعودية وأمريكا أن تصبحا دولتين معاديتين لبعضهما بعضاً. فمن الممكن للسعودية أن تعتمد على أوروبا أكثر من أمريكا في شراكة مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية، ويمكن لأمريكا أن تقبل هذا الوضع إذا أدركت أن ارتباط المصالح السعودية الأوروبية لن يضر بمصالحها بشكل رئيسي. فإذا وجدت أمريكا أن مصالحها الرئيسية في هذه المرحلة هي مع إسرائيل وحدها، فمن الطبيعي للسعودية أن تبحث عن شريك آخر يخدم مصالحها. وهذا الشريك البديل لأمريكا الذي يمكنه أن يدخل مع السعودية في علاقة مصلحة تبادلية قوية هو أوروبا، وسوف يصعب على أمريكا رفض تكثيف علاقة المصالح بين أوروبا والسعودية، فالدول إذا اختلفت مصالحها يمكن أن تنهض في اتجاهات مختلفة من دون أن تتحول بالضرورة إلى أعداء. وحقيقة الأمر أن أوروبا في الوقت الحاضر هي جزء مهم من علاقة المصلحة القائمة بين السعودية وأمريكا، وما سوف يتغير في حال وقوع هذا السيناريو هو أن أوروبا بدل أمريكا ستصبح هي الحليف الاستراتيجي الأول للسعودية، وسوف تصبح أمريكا في تحالف المصالح السعودي الغربي الجديد في المركز الثاني بعد أوروبا.

ويتضح من استعراض هذه النقاط أنها جميعاً تقع ضمن نطاق مسألة ختلاف القيم بين المجتمعين السعودي الأمريكي وبعض هذه النقاط هي موضوعات قديمة جديدة سبق للصحافة الأمريكية والأوروبية إثارتها كما سبق فنسدها والرد عليها من قبل بعض المفكرين المسلمين في مجالات عديدة، ولكن الجديد في الهجمة الإعلامية الحالية على السعودية هو ربطها بين الوهابية والعنف، وكذلك ادعائها بأن مناهج التعليم في السعودية تعلم التطرف والعنف، ومن المعروف أن حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي حركة إصلاحية دينية ترتبط بالعقيدة الإسلامية وليست حركة سياسية تدعو إلى مواجهة الغرب والصدام معه. وتعود أسس هذه الحركة إلى أكثر من مائتين وخمسين عاماً، وقامت عليها الدولة السعودية منذ بدايتها، وامتد ذلك إلى الدولة السعودية الحديثة التي وصفها كثيرون من كتاب أمريكا وأوروبا خلال الأربعين سنة الماضية بالاعتدال والحكمة ونبذ التطرف. فماذا حدث الآن فجأة، لكي تتجه أقلام بعض المشاركين في الحملة الإعلامية الأمريكية الحالية بالتهجم غير الموضوعي والتهجم على حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وفي ما يتعلق بالنقاط التي يثيرها البعض عن مناهج التعليم في السعودية فمن المهم التوضيح بأن جميع مناهج التعليم في جميع دول العالم تحتاج إلى تطوير دائم للاستجابة إلى متطلبات التنمية الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولتدعيم العالم. هذه مسألة يمكن فهمها وإدراك أهميتها من صعيد عالمي كامل، ولكن الادعاء بأن مناهج التعليم في السعودية تعلم التطرف والعنف هي مسألة أخرى لا يمكن قبولها أو تقديم أي تقرير علمي لها.

فلقد شهدت مصر والجزائر خلال الثمانينيات والتسعينيات الميلادية بعض ممارسات العنف الوحشية التي تنفذها مجموعات متطرفة تدعي الإسلام. ومن المعروف أن مناهج التعليم في كلتا الدولتين وخاصة في الجزائر تختلف عن مناهج التعليم في السعودية بشكل كبير، ولا تتضمن تدريس الموضوعات الدينية بشكل مكثف وهو الأمر الذي يثيره أصحاب الحملة، ويدعون فيه بأن تطرف بعض الشباب السعوديين الذين انضموا إلى صفوف القاعدة يعود بشكل رئيسي إلى تأثيرهم بمناهج التعليم الديني. فلو أن مناهج التعليم هي السبب الرئيسي للتطرف لكان من المفروض أن لا نرى أي ممارسات للعنف والتطرف لا في الجزائر ولا مصر.

وبيت القصيد، هو أن تطرف بعض شباب المسلمين،